

عندما تتصارع الحواسيب على حلبة أسواق المال



بقلم الدكتور فادي خلف – أمين عام إتحاد البورصات العربية

طرحت يوماً سؤالاً على أحد المحاضرين في الذكاء الإصطناعي، حيث تتعلم الحواسيب من التطورات العامة على أرض الواقع لتطور برامجها بنفسها. وقد أعادني هذا الموضوع إلى ما يحدث الآن في الأسواق العالمية وخاصة الأسواق الأمريكية من طغيان للتداولات من قبل الحواسيب المبرمجة من الإنسان على الأسواق بنسبة قد تصل إلى السنتين في المئة من التداولات. وذلك في مقابل أقلية من المضاربين التقليديين الذين يعتمدون على ذكائهم البشري في إصدار أوامر الشراء والبيع. وفي حيرتي من إيجاد الربح في هذه المعمة، طرحت السؤال على هذا المحاضر فأجابني بجملة جازمة ومقتضبة "إنني أشفق على هؤلاء المضاربين البشر في مواجهة الحواسيب".

حينها، تخيلت نفسي في أفلام علم الخيال، والتي غالباً ما نرى فيها الآلة تسيطر على العالم ويحاول فيها الإنسان أن يصارع للبقاء. وأخذتني مخيلتي إلى ذلك المضارب الصغير الذي كان يصارع قديماً لتحقيق حلم الربح السريع في مواجهة كبرى شركات المضاربة، فإذا به يصارع اليوم حواسيب هذه الشركات وهو ما زال متمسكاً بالحلم.

إن المضاربة في الأساس ليست عيباً وقد يمتنها الكثيرون، وفي كتابتي هذه لا أحاول أن أحكم على صوابيتها أو لا، وأنا العارف في ما تقدمه المضاربة للأسواق من سيولة يُجفف مستثمرو الأمد الطويل في مدّ الأسواق بها. سؤال يبقّى محصوراً في حظوظ هذا المضارب الفرد.

نعم تضعف آمال المضارب الفرد في مواجهة برامج المعلوماتية على الأسواق ولكن الأمل الوحيد الذي ما زلت أراه هو صراع الحواسيب فيما بينها. فهل يعقل أن تكون كل من هذه الحواسيب رابحة على الدوام؟ بالطبع لا. فبعضها سيربح في مواجهة بعضها الآخر، وفي ذلك إفادة عامة للأسواق من ناحية زيادة حركة دوران الأسهم. إلا أن الخوف كل الخوف أن تأتي ربحية هذه الحواسيب والبرامج على حساب خسارة الإنسان الفرد وليس على حساب بعضها البعض.

فيا أيها المضارب الفرد، لقد قيل "عند تغيير الدول، إحتفظ رأسك"، أما أنا فأقول لك كزميل صارع الأسواق لثلاثين سنة خلت، "إذا ما تصارعت الحواسيب، إحتفظ رأسك".